مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٢/٢/٦ تاريخ قبول النشر: ٢٧/ ٢٠٢٢/٤

المرأة في رواية سقوط سرداب

للروائي نوزت شمدين

The women in the novel ,suqut sirdab ,by nouzat shamdeen

م.م زينب حسين علي

الاستاذ المساعد الدكتور محمد صالح رشيد

جامعة تلعفر / كلية التربية الاساسية

Asst Lacturer : Zainab Hussein Ali

Dr.mohammed salih Rasheed

University of telafer/ college of Basic

ISSN. 1815-8854

الملخص ...

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا، والصلاة والسلام على اشرف خلق الله نبينا مُحَمَّد ابن عبد الله الصادق الامين، أما بعد :-

يشتمل هذا البحث على دراسة الشخصيات النسائية في رواية سقوط سرداب والتي تعد نموذجا للرواية الموصلية الحديثة، وبيان أهمية دور المرأة في الأدب عامة والرواية خاصة ونظرة الروائي لها من خلال ادراج شخصيات نسائية عديدة، وهل المرأة تعد محركا للأحداث أم مازالت ادوار البطولة مقتصرة على الشخصيات من الذكور فقط، بدأ البحث بتمهيد عن أهمية موضوع المرأة في الرواية، ومبحثين يتناول المبحث الاول : صورة المرأة في الرواية والمبحث الثاني : يتحدث عن الشخصيات النسائية في رواية سقوط سرداب ودورها في احداث الرواية وأبعادها، ومن ثم خاتمة بأهم النتائج وقائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : الرواية الموصلية، سقوط سرداب، المرأة، الشخصيات.

Abstract:

This study is about the female characters in the novel of suqut sirdab (fall of Basement) It is a sample of the modern Mosulian novels. It shows the significance of women role at literature in general and in novel in specific. It is more on the novelist perspective throug including many female characters. It wonders if the female character is an event motive or still championships confined of the males. Research consists of an introduction about the importance of women subject in novel and two parts. First part is about women image. The Second part is about the female character in the novel of suqut sirdaab along with her role in novel events and implications. Finally, there is the conclusion of findings and alist of the bibliography.

Key words: female characters , Mosulian novel ,suqut sirdab , nouzat shamdeen.

- **التمهيد ...**

مدخل نظري الى توظيف شخصية المرأة في الرواية :-

يعد موضوع المرأة في الادب عامة والرواية خاصة من المواضيع المهمة التي تحتاج الى الوقوف عندها ودراستها وتسليط الضوء عليها، وهناك دراسات عديدة تركز على دراسة وجود المرأة في الادب سواء كان في الشعر ام النثر، والبحث عن الصورة التي تظهر بها المرأة او الشخصية النسائية في النصوص الأدبية، ليس شخصية المرأة فقط انما الشخصية عامة من العناصر الضرورية في الرواية وتعد " المحرك الرئيسي الذي يدفع بتطور الاحداث داخل العمل الروائي

ISSN. 1815-8854

"[١] ونحن هنا نحاول ان نكشف دور المرأة في الرواية الموصلية ، ونجيب عن بعض الأسئلة ومنها، هل شخصية المرأة اخذت مساحة كافية لها داخل الرواية، وتحديدا الرواية الموصلية التي تعد قليلة نوعا ما أم يقتصر دورها فقط على الادوار الثانوية التي تأتي مكملة للأدوار الرئيسة ؟ وتأتي اهمية التركيز على هذه النقطة لأن الرواية تعكس واقعا اجتماعيا معاشا ودورها في الرواية يعكس دورها في الحياة وفي المجتمع،و" لعل الرواية من اكثر الفنون انسجاما مع نفسية المرأة إذ انها تعطي المجال للبوح والاسترسال عما يعتمل في نفسية المرأة من هموم وهواجس وقضايا دونما قيد"[٢]، وكذلك يكشف لنا نظرة الادباء لها التي تفصح عن النظرة العامة للمرأة والاعتراف بدورها في تسيير الأحداث، و" المرأة في الرواية تحتل نصيبا اوفى وأوفر"[٣] لأنها كما قلنا تعكس واقع الحال، فلا غنى لكاتب الرواية عن وجود المرأة بالرغم من اختلاف شكل هذا الوجود وحجمه، فهي تسير جنبا الى جنب مع الرجل في رسم مجرى الحدث، ومنذ ظهور الرواية في الوطن العربي لم يهمل الروائيين وجودها في الرواية دون التوقف عند المستوى الفني ولكنهم اعطوا لها مساحة كبيرة ضمن مؤلفاتهم، مثل الرواية الاولى عربيا التي سميت باسم امرأة وهي رواية زينب[٤] وانتصار المرأة داخل الرواية يعد انتصارا لها خارجها في ارض الواقع على المعتقدات والأفكار الخاطئة والراسخة عن المرأة، فالمرأة هي التي تتحمل نتائج الحروب التي يخوضها الرجال تقف شامخة أمام الازمات، ولا يمكن اهمال دورها فهي الام والأخت والزوجة والابنة والحبيبة ودورها مصيري في الاحداث من حولنا. ولا يقتصر اهمية دور المرأة في الرواية على كونها شخصيات تعرض في الرواية انما في الاسس والمبادئ التي تعيشها وتحاول ايصالها الى المجتمع، فالشخصيات النسائية في الروايات التي تحمل طابع القوة والاستقلالية والانتماء العائلي وتحافظ على ذاتها تنقل الى القارئ صورة ايجابية عن دور المرأة الاجتماعي، ومن ثم العكس من هذا عرض المرأة بشكل ضعيف وعلى هامش الأحداث ينقل صورة سلبية عنها الصورة التي حاربها العديد من الكتاب في رواياتهم مثل نجيب محفوظ الذي كان يعرض في بعض رواياته نموذج المرأة العربية المضطهدة والمسلوبة الرأي، مثل ثلاثية بين القصرين لتخرج المرأة الى الحياة بعيدا عن هذا الرداء.

فرسم ملامح الشخصية النسائية لا يختلف اهمية عن رسم ملامح الشخصيات الاخرى لما لها من اثر في الفكر والوعي الاجتماعي، فهي علاقة متبادلة بين الفن والواقع، ولا يمكن ان يبقى دور المرأة محصورا في دور الأم التي تتفرج فقط ولا دور لها في حياة عائلتها، أو الاخت التي تتحسر على التفرقة بينها وبين الذكور في البيت أو الابنة التي لا تستطيع ان تقول لا بوجه العائلة والمجتمع، لا يقتصر دورها في دفن الاحلام، حلم التعليم والسفر والعمل وحلم الخروج من المنزل حلم التعبير عن الرأي، لا يقتصر دورها على الحبيبة التي تعيش في الظل والمنبوذة من المجتمع الذي يراها متمرة على عاداته، هي أم قوية وأخت ناجحة وابنة مثقفة حالمة والى آخره من النساء اللاتي يغيرن خط سير المجتمعات . وإذا توقفنا عند الرواية الموصلية التي بدأت ١٩١٩ مع الروائي سليمان الفيضي الذي كتب الرواية الايقاظية[٥] ومن ثم توالت المؤلفات بعدها تنشر في هذا الجانب والبحث عن دور المرأة في هذه الروايات وهذا يتطلب عملا كثيرا ودراسة واسعة والوقوف عند اغلب هذه الروايات، ولكن نقول انه على عاتق هذه الروايات يقع تقديم المرأة الموصلية بالشكل الملائم وتكريس صفحات كثيرة منها للدفاع عن حقوقها والحديث عن دورها داخل المجتمع وفي مواجهة التحديات والصعوبات التي واجهتها المدينة على مدى

ISSN. 1815-8854

ازمنة مختلفة من تاريخها، لأن " الروائي يسعى الى اظهار المرأة كإنسان حر يسهم في بناء الوطن على قدم المساواة مع الرجل"[٦] ولا تنتظر ان يقدم لها الحياة جاهزة لتعيشها انما هي تعمل على تأسيس هذه الحياة بكل تفاصيلها وتحدي الصعوبات التي تواجهها، ومن مهمة الادب بكل انواعه أن يبين أهمية دور المرأة ويظهر المهمات التي تؤديها ويسلط الضوء على الأعباء التي تقوم بها داخل وخارج المنزل . وهناك روايات عربية كثيرة اهتمت بهذه الفكرة وطرحت قضايا المرأة وصورة المرأة العربية بشكل ملفت للنظر، روايات تحمل طابع التحدي أمام المجتمع الذي كان لوقت قريب لا يرى في المرأة إلا الضعف وعدم تحمل المسؤولية،[٧] ولا يقتصر دور الروائي على الحديث عن المرأة داخل المنزل فقط وإنما تسليط الضوء على الجانب الفكري والسياسي والمهني فضلا عن وضعها الاجتماعي لأنه من أهم القضايا التي تشغل المرأة هي قضية التعليم والعمل وممارسة الوظيفة التي ترغب بها والنشاطات التي تثبت قدرتها وتبين موهبتها، فضلا عن هذا فهناك الوقوف عند الجانب السلبي ايضا وتقديم شخصيات نسائية تمثل النساء اللاتي يتخلين عن المبادئ و القيم في سبيل تحقيق أهدافهن والنساء الانانيات وغيرها، هذا التنوع في الشخصيات النسائية داخل الروايات سيعطي قيمة أكبر للأحداث وكذلك للروايات لأنه يعكس التنوع الموجود في الواقع والحقيقة .

- رواية سقوط سرداب :- من الروايات العراقية الحديثة والتي اتخذت من مدينة الموصل مسرحا لاحداثها، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، فبراير ٢٠١٥ ب ١٧٣ صفحة، تحكي عن شاب من مدينة الموصل اسمه ثائر قتل والده العميد في الجيش العراقي خلال حرب الثمانينات، ولأنه الوحيد بين خمس بنات تخشى والدته أن يلقى مصير والده فتخفيه في سرداب المنزل قبل انطلاق حرب الكويت بأيام قليلة.

وهناك العديد من المقالات التي كتبت عن هذه الرواية منشورة في بعض المجلات والصفحات الالكترونية منها، – مرتكزات بناء الشخصية السردية وتطورها في رواية سقوط سرداب ل خضر عواد الخزاعي. ورواية سقوط سرداب شهادة لزمن الانهيارات ل جمال العتابي مقالة منشورة في صحيفة المثقف الالكترونية، و استلاب الذات والأمكنة في رواية سقوط سرداب للعراقي نوزت شمدين ل غزوان عطية الوردي مقالة منشورة في موقع العالم الجديد الالكتروني. *

- **صورة المرأة في رواية سقوط سرداب**

نتوقف عند رواية – سقوط سرداب – لنبحث عن المرأة فيها والشخصيات النسائية التي ضمنتها الأحداث التي تدور في مدينة الموصل من ثمانينات القرن العشرين الى سنة ٢٠٠٣ عن شاب يعيش في أجواء وبيئة تختلف عن اقرانه، ومدى تأثير الاحداث من حوله على حياته وخاصة الحرب والوضع السياسي الذي كان يؤدي دورا رئيسا في حياة المجتمع العراقي بشكل كبير، ورصد ردود أفعاله ومواقفه تجاه ما يحصل التي كانت ناتجة عن مدى تأثير أمه عليه وعلى شخصيته، وهنا نتوقف عند الشخصية الأهم في الرواية وهي شخصية الأم التي جعلت منها الحرب وخوفها على ولدها الوحيد على خمس بنات آلة ودرع حماية ودفاع، أم أجبرتها الحياة على اتخاذ التدابير والبقاء على أهبة الاستعداد للوقوف بوجه الخطر وحماية عائلتها من كل الصعاب التي تواجه العائلات العراقية أيام الحرب الطويلة المستمرة منذ عقود، هذه الأم تمثل الأمهات العراقيات بخوفهن وقوتهن وصبرهن واحتوائهن للعائلة فهن السند للزوج والدرع للأولاد، لا مجال للشكوى والتذمر

ISSN. 1815-8854

والاستسلام لأن الحرب لا ترحم ولا تستثني أحدا من الموت، بل تتطلب المواجهة والانتصار، فهذه الام قررت ان تخبئ ابنها في سرداب منزلها لكي لا يذهب للقتال وتخطفه منها آلة الموت كما فعلت مع زوجها، لا تريد ان تكون ام الشهيد كما يحصل للأمهات من حولها، فالمرأة العراقية لابد أن تكون زوجة شهيد أو ابنة شهيد أو أم شهيد أو اخت شهيد، وشجاعة كبيرة من احداهن أن ترفض هذا الشيء وتقوم بما هو أكبرمن طاقتها لتحمي ابنها، في هذه الرواية نرى المرأة الموصلية الام والجدة والأخت والحبيبة، وهن النساء اللاتي كن في حياة بطل الرواية ثائر الولد الوحيد على خمس أخوات، الولد الذي جعلت منه امه ضعيف الشخصية عاجز عن اتخاذ القرارات المهمة في حياته وفي المقابل نرى امه التي اجبرتها ظروف الحياة وخاصة بعد غياب زوجها العسكري من البيت على تدبر أمور البيت وتوفير ما يلزم بناتها وابنها بمساعدة الجدة التي أسهمت مع الام في انشاء هذه الشخصية وكذلك الاسهام في الحدث الأهم في الرواية وهو اخفاء ثائر في السرداب والادعاء بأنه سافر خارج البلد هربا من العسكرية والمشاركة في الحرب " الساعة الواحدة وثمانية عشر دقيقة من ظهر يوم الجمعة ١١ كانون الثاني سنة ١٩٩١، في هذا الوقت كنت اهبط درجات السرداب السبع وأنا متيبس من الخوف وحواسي تنطفئ واحدة بعد الاخرى "[٨] وكان هذا هو الحدث الاهم في الرواية وقد خططت له ونفذته الأم التي يقول عنها الروائي على لسان الابن " لم يكن اختبائي في السرداب صدفة حياتية طارئة أو نزوة شاب قرر فجأة العيش في قلب الظلام، بل كانت خطة طوارئ محكمة وضعتها أمي، ارملة الشهيد الخائفة على وحيدها بين خمس بنات"[٩] فلا مجال للتفكير انه وقت التنفيذ، وقت الوصول الى الهدف بكل السبل حتى لو كان بتحويل السرداب الى مخبأ يضم ثائر بين جدرانه سنين عدة غيرت من شخصيته وأفكاره ونظرته الى الحياة . لم تفكر الام بعواقب الامر او النتيجة فما يشغلها هو حياة ابنها الذي لا تريد ان تخسره بسبب الحرب او الحروب المتوالية حربا بعد حرب .

ولنتعرف على شخصية الام اكثر يجب ان نعرف كيف كان ينظر اليها ثائر كيف كان يراها، يقول في حديثه عنها "كانت امي القائد الميداني في المنزل والعقل المدبر لشؤونه بسبب انشغال ابي المستمر في الحروب[١٠] نرى انها اخذت دور الاب والأم في المنزل تقرر كل شيء بنفسها، مصير الاولاد وأسلوب حياتهم دون فسح المجال أمامهم للخروج عن هذا العالم الذي أحاطتهم به عالم المنزل، ومن المعروف أن هو هذا دور المرأة العراقية عامة فهي التي تدير المنزل وتدبر الشؤون الخاصة بالأولاد والزوج، وتحمل على عاتقها حمايتهم من كل أذى وخاصة الحروب وما تتركه من نتائج سلبية في المجتمع، فهي الزوجة المطيعة لزوجها في كل الظروف حتى عند غيابه عن البيت وبعد وفاته فهي تنفذ ارادته على أولادها، " قالت وهي تجهش بالبكاء، ثائر لا تكرهني انا انفذ وصية والدك"[١١] نرى أن المرأة هنا خاضعة لزوجها خضوعا تاما تنفذ ما يريد دون نقاش " حيث الصورة السائدة للمرأة التقليدية في مجتمعنا العربي أنها ابنة المجتمع الابوي الخاضعة لعاداته وتقاليده المتشربة قيمه تؤمن بدونية المرأة وتفوق الرجل وتعد الرجل محور حياتها بوصفه الملجأ والمعيل الوحيد لها"[١٢]، حتى البنات مقرر مصيرهن من قبل الأب ولا يمكن الخروج عن طاعته حتى بعد وفاته،"كن ممنوعات من مواصلة الدراسة بقرار قديم من ابي جعل به الصف السادس الابتدائي نهاية لطموحهن"[١٣] وهذا ما يحصل في أغلب البيوت الموصلية حيث السلطة

ISSN. 1815-8854

المطلقة للأب وله وحده حق تقرير مصير العائلة وليس للنساء إلا التنفيذ حتى في قرار الزواج يفرض عليها فرضا ولا يتم الأمر باختيارها .

وننتقل الى الصورة الثانية من صور المرأة الموجودة في الرواية وهي صورة الحبيبة ياسمين التي تعرف عليها ثائر في الجامعة، وهذا هو الاسلوب التقليدي المتعارف عليه في المجتمع الموصلي حيث أغلب قصص الحب تتم في الجامعة " احسست بالضوء اكثر توهجا مع عبد الحليم حافظ وهو يجري معه بأغنية زي الهوى الى حيث ياسمين، تذكرت ملامح وجهها الطفولي وعينيها الغارقتين بخضرة ربيعية وثياب الفراشات التي ترتديها، وخفقان قلبي وهي تحلق امامي في اروقة كلية القانون، وكيف افقد سيطرتي على اطرافي عندما تضعنا الصدفة وجها لوجه، وتسكت الاصوات كلها عندما يزقزق عصفور صوتها داخل قاعة الصف الذي جمعنا سوية لأربعة اعوام كاملة دون ان نتبادل ولا حتى كلمة واحدة "[١٤] حب من طرف واحد دون مبادرة بالإعلان والبوح به امام الحبيبة التي ربما لم تلاحظ وجوده، ولكنه كان مغرما بها ومهتما بكل تفاصيلها متتبعا خطواتها ولكن بدون امل، وكانت هذه الحبيبة السرية املا له في سجنه داخل السرداب ومتنفسا في الايام الصعبة، وبقاء هذا الحب مكتوما كان نتيجة للتربية التي تلقاها البطل من أمه التي جعلت منه منطويا على نفسه انعزاليا ولهذا السبب كان ثائر يتلقى السخرية اينما ذهب بسبب شخصيته المتذبذبة،" تحذيرات امي وجدتي بعدم الاختلاط بالطلاب وعدم منحي الثقة لأي كان لم تكن وحدها التي منعتني من الاعتراف بحبي الكبير لياسمين، بل خوف داخلي من ان يوقفني تلعثمي ويجعلني ترديدي الببغاوي لبعض الكلمات اضحوكة تسرد نكاتها فيما بعد لصديقاتها"[١٥] وكل هذا نابع من تأثير والدته عليه وفرض شخصيتها عليه بحجة ابقاءه امنا وقريبا منها، ولكن هذا كان له تأثير سلبي على حياة ثائر الى درجة انه بقي دون حبيبة وكتم حبه داخله لسنوات ولم يتمكن من التغلب على مخاوفه وضعف شخصيته،" كنت اشعر بنظراتهم الساخرة مني وربما المشفقة وهم يمرون بقربي أو يمدون لي بورقة توقيع الحضور اليومية او عندما يأخذوها، حتى الاساتذة كانوا يتعاملون معي بطريقة مختلفة عن التي يعاملون بها باقي الطلاب"[١٦] كل هذه الضغوطات عليه والأحداث التي عاشها قبل الدخول الى السرداب كانت تمر عليه في شريط ذكرياته ويعيد هذه المشاهد ويغير فيها كما كان يتمنى أن تكون .

وهكذا نرى أن البطل محاط بالنساء من حوله كل واحدة تقوم بدورها ولها تأثير في حياته وتكوين شخصيته وذكرياته والحياة الرمزية التي عاشها في السرداب هذا المكان الذي عاش فيه ثائر كما يريد هو لا كما يريد الآخرون، المكان الذي كان يضم سرا كبيرا بين جدرانه اكتشفه ثائر فيما بعد وكان هو هذا الحدث الأهم الذي غير مجرى الأحداث وحتى هذا السر وهذا الحدث كان من صنع شخصية نسائية داخل الرواية وهي الأم التي دفنت زوجها في السرداب الذي خبأت فيه ابنها " وجدت ترابا يغطي حوض اسفل الدرجات بارتفاع خمس طابوقات، جلبت الفانوس والمجرفة من الحجرة الاولى وأخذت احفر رافضا الى الاصغاء الى نصائح الصوت الذي يشبه صوتي، وعند مستوى ارتفاع الطابوقة الثانية رفع المعول عظمة من رفات ابي"[١٧] كان هذا الحدث صدمة لثائر الذي جعله يكتشف ما كانت تخبأه امه عنه وعن اخواته سنوات عديدة .

ISSN. 1815-8854

ومن صور الشخصيات النسائية في الرواية والتي نستطيع ان نقول عنها الشخصية السلبية هي الجارة الفضولية ام يعقوب التي تحشر نفسها في كل شيء وتتقصى الاخبار من بيوت الجيران وتوصلها الى زوجها، فهي مثال للنساء الفضوليات اللاتي يحركهن فضولهن لتدخل في شؤون الغير ومراقبة من حولها بطريقة غير صحيحة وغير مقبولة،" أما زيارات جارتنا أم يعقوب المفاجئة فلم تكن تختلف عن مداهمات رجال الحكومة، اذ كانت مليئة بالأسئلة والرصد البصري لكل صغيرة وكبيرة في المنزل لتنقل تقارير بشأنها الى زوجها ومن ثم تكون الفرقة الحزبية في المنطقة مطمئنة ان لا شيء يحدث من خلف ظهرها "[١٨] فهي نموذج لفئة من المجتمع الذي يعتاش ويكبر على نقل الأخبار ورصد حركات الآخرين دون الالتفات الى الاذى الذي يسببونه للآخرين .

وكذلك اشارة الى الحياة الاجتماعية المعروفة في المدينة حيث لا اسرار بين الجيران ويبقى الجار مطلع على احوال وإخبار جاره حتى لو اختارت بعض العوائل العزلة والبعد إلا ان هناك اشخاصا لا تخفى عنهم الأخبار، وكذلك اشارة الى الوضع السياسي لتلك الفترة وكيف تغير هذا الوضع بعد سنوات طويلة من الحرب، وهكذا تظل المرأة العراقية في مواجهة الازمات صامدة ومدبرة مهما كلفها الأمر حتى لو اضطرت أن تكذب أو تخالف القانون، أشاعت امي في الحي أنني تركت البيت مطرودا لأنها لم تحتمل فكرة وجود هارب من العسكرية معها تحت سقف واحد،..... وأخذت معها نسوة من الحي بينهن ام يعقوب زوجة المسئول الحزبي للمنطقة وذهبن الى مقر الفرقة الحزبية[١٩] اضطرت هذه الأم القلق قلبها على ابنها الوحيد ان تقوم بمسرحية أمام المتنفذين في النظام وجعلت من ام يعقوب شاهد عليها لكي يصدقوا كلامها ويصل الخبر الى السلطات ويتوقف البحث عن ثائر.

- **رسم الشخصيات النسائية في الرواية ..**

نرى أن الكاتب قدم أنواعا من الشخصيات النسائية منها ذات دور كبير في الرواية مثل الأم والتي قدمها لنا بأكثر من صيغة، فهو يتحدث عنها ويقدمها لنا بالأسلوب المباشر أو يستخدم الاسلوب غير المباشر " فالمؤلف هو الذي يتولى تقديم الشخصيات في جميع الاحوال، إلا انه يتبع في ذلك اكثر من وسيلة فهو احيانا يقدمها براويه سواء أكان الراوي العليم ام الراوي – الشخصية مما يؤدي الى سيادة الاخبار المتحصل من الراوي وفي هذه الحالة يلم القارئ بالشخصية مباشرة، وقد اصطلح على هذا التقديم بالتقديم المباشر، والإخباري والتحليلي والتقريري وقد يعمد الرواي في أحيان أخرى الى تقديم الشخصية بالشخصية نفسها أو غيرها من الشخصيات وهذا ما اصطلح عليه بالتقديم غير المباشر والاظهاري والتمثيلي والتصويري"[٢٠] حيث يتركنا نتعرف عليها من خلال أفعالها وردود فعلها على الاحداث من حولها، "كانت أمي قد توصلت الى قرارات مصيرية للتخفيف من الحصار فجلبت ستة عمال مع مطارق كبيرة كسروا بها كونكريت الملجأ في الحديقة الخلفية، واستخرجوا منه اربعة اطنان من حديد التسليح اشتراها تاجر خردوات"[٢١] فنراه دائما يتحدث عن امه بفخر وكيف انها تدير أمور البيت بقوة ولم تضعف ابدا رغم كل الحروب والأحداث التي مرت، وتحملت بعد وفاة زوجها دفة القيادة وتصدير الاوامر على الرغم من وجود العمة أم زوجها الذي جاء دورها ثانويا في الأحداث كما هو في البيت حيث يأتي دورها بعد الأم وهي لا رأي لها سوى المشاركة مع زوجة ابنها في تنفيذ الخطط، " تبادلنا الادوار أنا وجدتي

ISSN. 1815-8854

خلال زياراتها القليلة لي في السرداب، لمرض الم بأمي او طارئ اشغلها عني حكيت لها قصصا كثيرة عن الوطن كنت اهمس قارئا لها مقتطفات من كتاب وبيننا الفانوس فتصغي وتهز رأسها وأحيانا تقاطعني وتكمل هي بعض الاحداث، تبتسم كاشفة عن لمعة اسنانها الاربع الذهبية متذكرة جدي الحاج جميل الذي كان يلقنها التاريخ بقراءات مستمرة دوخها بها لعقود"[٢٢] فهذه الجدة نرى منها في الاغلب البيوت الموصلية فالجدات يتشابهن بطيبة القلب والخوف على الاولاد والأحفاد ويتميزن بالقلب المليء بالإيمان، وكذلك التعلق الكبير بالعائلة وخاصة الزوج الذي تتأثر به وبطباعه على مر السنين لتبقى تعيش على ذكرياته .

ومن حوار بينه وبين امه نكتشف عن نظرتها الى الاحداث التي تقع من حولهم فيتقول الام :" الحصار دمر الناس والرئيس الامريكي جورج بوش اكبر غبي في العالم، فصدام لن يجوع ولن يبيع شيئا من ممتلكاته المنزلية في سوق باب الطوب ليشتري الخبز والطماطم"[٢٣] هذا التحليل البسيط لم يجري من حولها يطلعنا على جزء من شخصيتها التي رغم بساطتها إلا انها كانت ملمة بالوضع السياسي وتمتلك نظرة ورأي لتقوله فقط امام ابنها فهذا الكلام ممنوع ان يقوله أحد خارج منزله .

وكانت امه هي حلقة الوصل بينه وبين العالم الخارجي والأحداث التي تقع خارج السرداب وحديثهما المتواصل كان يكشف الكثير مما في داخله وداخلها " كانت متحمسة لإعلامي عن ما يدور في العالم الخارجي، لذا لم تهتم كثيرا بفوضى الحقائب في الحجرة الثالثة كما انها لم تبد اي ملاحظة عن نظافتي الجسدية، وضعت رأسي في حجرها بعد ان جلست على فراشي مسندة ظهرها بجدار الخشب لإراحة فقراتها، وسلمت شعري لنبش اصابعها كما اعتادت على فعله معي في الحياة ما قبل السرداب، ذكرت ان معظم الاهالي عادوا من القرى والبلدات الصغيرة التي اختبئوا فيها خلال الشهر الاول من اندلاع الحرب وإنني الذكر الوحيد الباقي في الحي بدون واجبات امنية"[٢٤] كانت حاضرة في كل تفاصيله وصوتها الصوت الوحيد الذي يسمعه في مخبأه ورغم هذا لم يذكر لنا الراوي تفاصيل مواصفاتها الخارجية ولم يتحدث عن البعد الجسمي لها او لجدته او واحدة من اخواته وكأنه بهذا يلتزم بالعادات والتقاليد الاجتماعية التي تحظر على الرجل الحديث عن النساء وذكر مواصفاتها الشكلية والجسمية وأسماءها امام الناس، فنعرف عنهن الابعاد النفسية والاجتماعية فقط. حيث معروف أن الشخصيات الروائية لها ابعاد عدة منها البعد الجسمي او الشكلي (الخارجي) والبعد النفسي والاجتماعي (الداخلي)، ويتمثل البعد الجسمي في الجنس وفي صفات الجسم المختلفة طول وقصر ونحافة وبدانة والمظهر العام للشخصية وكأنه صورة فوتوغرافية للشخصية[٢٥] ويعد الراوي – الشخصية – مصدر معلوماتنا الوحيد ويمثل وسيلة او اداة تقنية يستخدمها الروائي ليكشف بها عن عالم روايته[٢٦] ويخبرنا عن اخواته عن طريق السرد والحديث عن ذكرياته معهن وما يخبرنا هو عبارة عن ذكريات مشتركة بينهم وردود افعالهن لغيابه وأسلوب امه في التعامل معهن الذي يفرق عن اسلوبها معه دون الدخول في تفاصيل ذكر البعد الجسمي والنفسي لهن، "أصبحت سلطة امي مطلقة وانفردت بالقرارات مكتفية بمنح امي دور المساعد والمشاور غير الملزم في قضايا محدودة، وحتى قبل ذلك عاملت اخواتي سندس وشمس وإسراء ونسمة وسعاد اللواتي يكبرنني سنا جميعهن على انهن دمى تحركهن بخيوط سلطتها كما تشاء، فكبرن نسخا تطابق احداهن الاخرى وبقين سنوات مثل تميمات معلقات في المنزل لا تصل الى اي منهن يد خاطب"[٢٧] لم يعطهن الكاتب دورا كبيرا

ISSN. 1815-8854

في احداث الرواية ولكن وجودهن كان تبريرا اضافيا لإحاطة الام ابنها بهالة من الخوف والحرص والتشديد، فهو الولد الوحيد على خمس بنات وهذه النقطة في الرواية تعكس واقعا اجتماعيا كان سائدا بدرجة كبيرة وربما الى يومنا هذا في المجتمع العربي بشكل عام من خلال تفضيل الذكور على الاناث.

أما عن اسلوب تقديم شخصية ياسمين الحبيبة فقد استخدم أسلوب التقديم من خلال الحديث عنها وذكر تفاصيل حبه لها في الجامعة لان لم يجر بينهما أي حوار ولا نرى صوتا لها إلا من خلاله هو وكأنها شخصية خيالية غير موجودة في الواقع بل هو رسمها وحاك لنفسه قصة حب يعيشها بينه وبين نفسه، والتي كانت من أهم القصص التي كانت تشغله اثناء فترة اقامته الجبرية في العزلة، " وضعت لياسمين رسالة ورقية على شكل قلب في كتاب القانون المدني، لوحت لي في حفل تخرجنا وسط المركز الطلابي"[٢٨] يعد هذا الكلام جزء من احلام ثائر في السرداب فكانت ياسمين من ضمن خياله مع اهله والأشخاص الذين تعرف عليهم من طفولته والى لحظة نزوله الى السرداب، وعلى عكس من امه وأخواته فهو يتطرق الى البعد الجسمي لياسمين الحبيبة ويذكر بعضا من اوصافها الخارجية،" كل ما درسته في كلية القانون كان قد تبخر ولم يبق من سنواتها الاربع سوى وجه زميلتي الجميلة ياسمين التي اختزنت آلافا من صورها في ذاكرتي، تظهر فيها جميعا وهي تنظر الى شيء اخر غير عدسة روحي"[٢٩] وفي موضع اخر يتحدث عن ملامحها ويصفه بالطفولي وعن خضرة عينيها ولكن بكل براءة دون الخوض في تفاصيل جسدية اخرى .

اما الجارة أم يعقوب فقد تعرفنا عليها من خلال حديث الراوي (الشخصية) عنها في اكثر من موقف ومن يقرأ كلامه يعرف كم هي فضولية وعبارة عن الة لجمع الاخبار ونقلها ونشرها بين الناس، " جارتنا ام يعقوب كانت تصطادني خارجا من المنزل أو عائدا اليه تقترب بأنفها المعقوف مدققة النظر في جيب قميصي ومقياس انتفاخ حقيبتي، ثم تطرح الكثير من الاسئلة عن كيفية ادارة امي لشؤون المنزل المالية وما تملكه خارج حدود معرفتها"[٣٠] دون ان يعطينا تفاصيل شخصية عنها مثلا عمرها او صفاتها الخارجية او حتى اسمها الصريح فقط عرفناها بكنيتها التي اختارها الكاتب لأنها من الاسماء الشائعة في المدينة .

ان ترك الروائي للبعد الجسمي والنفسي لبعض الشخصيات وعدم سردها للقارئ يترك امامه المجال للخيال والمشاركة في رسم أبعاد هذه الشخصيات من خلال ما يقدمه من معلومات مع بعض الاضافات من القارئ الذي يحق له المشاركة في خلق وابتداع ما ينقص الشخصية من معلومات.

وتم اختيار الشخصيات من خلال علاقتهم بالمكان الذي يعد بؤرة النص وهو السرداب هذا المكان المغلق الذي جمع الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل، ففي هذا المكان اكتشف البطل الكثير من الأمور والأسرار منها سر والده المخبأ منذ سنين والاهم من هذا اكتشف نفسه وسر وجوده في الحياة، تغيرت شخصيته وفي هذا المكان اتخذ اول قرار مصيري في حياته معارضا قرار والدته، قرر مصيره بنفسه " سلمت نفسي لجاذبية السرداب التي سحبتني اليه باشتياق فهبطت الدركة الاولى والثانية وتوقفت في الثالثة والتفت الى امي المتسمرة خلفي مع اخواتي ازحت الشعر عن وجهي قليلا، وقلت لها بصوت فيه غلظة : اغلقيه ورائي"[٣١] اختار أن يكمل حياته في هذا المكان الذي يحتوي على الاحلام والصور والتاريخ

ISSN. 1815-8854

والذكريات والآلام والأصوات، اختار أن يكون شاهدا على سنوات كثيرة من الحرب والدمار والحزن والفرح التي عاشتها مدينته مدينة الموصل .

- **الخاتمة ...**

تعد الرواية من أكثر الفنون النثرية اتساعا واحتمالا للشخصيات، فالنص الروائي الواحد يتجمع فيه العديد من الشخصيات المختلفة في ادوارها وأبعادها وأنواعها، ولا يخفى دور الشخصية النسائية في العديد من الروايات العربية على اختلاف انواع هذه الروايات حيث قدمت الشخصية النسائية بأشكال متنوعة فنجد الشخصيات الايجابية والسلبية التي تقدم صورة عن المرأة العربية عموما، أما في بحثنا والذي توقفنا فيه عند رواية موصلية حديثة تعد سيرة ذاتية لشخصية اختارها المؤلف وقدم لنا حياتها من الطفولة وضمت عقودا من الزمن وتوقفنا عند الشخصيات النسائية التي وردت في الرواية وكانت النتائج كما يأتي :-

١- رسم الشخصية مرتبط بالواقع والمجتمع فالروائي يستحضرها من واقعه الذي يعيشه ومن ثم يمزجها بالخيال لتظهر الشخصية بشكلها النهائي في الرواية .

٢- صورة المرأة التي قدمها الكاتب في رواية سقوط سرداب تعد نموذجا للعديد من النساء الموصليات، وتعيش الظروف والأحداث التي عاشرتها المرأة الموصلية على مر سنوات مختلفة .

٣- دور المرأة في هذه الرواية ليس مكملا او ثانويا انما اعطى الكاتب لها دورا رئيسا متطورا تتطور مع الأحداث بل هي التي تقوم بفعل بعض هذه الاحداث ضمن نطاق عائلتها والمجتمع .

٤- التزم الكاتب نوزت شمدين بالتقاليد المجتمعية في روايته وكانت واضحة العادات التي يلتزم بها المجتمع الموصلي ضمن الاحداث .

٥- لم يتطرق الكاتب الى البعد الجسمي الا نادرا للشخصيات في الرواية واكتفى بالبعد الاجتماعي والنفسي .

الهوامش :-

*ينظر:- موقع صحيفة العرب الالكترونية، صحيفة المثقف الالكترونية، موقع العالم الجديد الاكتروني.

١. بنية الشخصية في رواية الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران، ليلى سعودي، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات – جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، ٢٠١٧ : ٨

٢. صورة المرأة في روايات حنان الشيخ ، رنا احمد عبد الفتاح، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا – الجامعة الاردنية، ٢٠١٠ : ٦

٣. المرأة في الرواية الجزائرية، مفقودة صالح، ط _ ٢_ ٢٠٠٩، الجزائر : ٩

٤. العديد من المصادر التي تحدثت عن الرواية صنفتها الرواية الاولى عربيا وهي رواية لمحمد حسنين هيكل الفها سنة ١٩١٩ م

٥. ينظر : فن القصة والرواية في الموصل ما بين عامي (١٩٦٨ – ١٩٨٨) نوري محمد طاهر، اطروحة دكتوراه، كلية التربية – جامعة تكريت، ٢٠٠٣ : ١٢٠

٦. المرأة في روايات سحر خليفة : ١٨

٧. ينظر : المصدر نفسه : ١٦ – ١٧

ISSN. 1815-8854

٨. رواية سقوط سرداب ، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط – ١– ٢٠١٥ : ١٥

٩. المصدر نفسه : ٥

١٠. المصدر نفسه : ٩

١١. المصدر نفسه : ١٥

١٢. صورة المرأة في روايات حنان الشيخ : ١٧

١٣. سقوط سرداب : ٤٤

١٤. المصدر نفسه : ٤٧

١٥. المصدر نفسه : ٤٨

١٦. سقوط سرداب : ٤٨

١٧. المصدر نفسه : ١٤٤

١٨. سقوط سرداب : ١٤

١٩. ينظر : المصدر نفسه : ١٧

٢٠. المصدر نفسه : ٢٥

٢١. نفسه : ٤٩

٢٢. نفسه : ١٧٠

٢٣. نفسه : ٥٩

٢٤. ينظر: بنية الشخصية في رواية الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران : ٢٤

٢٥. نظام الشخصية في روايات طاهر وطار البناء والدلالة، طيبون فريال، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب واللغات والفنون – جامعة جيلالي ليباس، ٢٠١٥–٢٠١٦، الجزائر : ٤٦

٢٦. سقوط سرداب : ٩

٢٧. نفسه : ٢٧

٢٨. نفسه : ٤٩

٢٩. نفسه : ١٧٠

- **قائمة المصادر والمراجع ...**

١– بنية الشخصية في رواية الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران، ليلى سعودي، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات – جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، ٢٠١٧

٢– تقديم الشخصية العراقية في الرواية العراقية – دراسة فنية – اثير عادل شواي، رسالة ماجستير، كلية الاداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٥ .

٣– رواية سقوط سرداب، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط –١– ٢٠١٥.

٤– صورة المرأة في روايات حنان الشيخ، رنا احمد عبد الفتاح، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠١٠ .

٥– فن القصة والرواية في الموصل ما بين عامي (١٩٦٨ – ١٩٨٨) نوري محمد طاهر، اطروحة دكتوراه، كلية التربية – جامعة تكريت، ٢٠٠٣ .

٦– المرأة في الرواية الجزائرية، مفقودة صالح، ط – الجزائر، ٢٠٠٩ .

ISSN. 1815-8854

٧- المرأة في روايات سحر خليفة، غدير رضوان طوطح، رسالة ماجستير، كلية الاداب – جامعة بير زيت، ٢٠٠٦ .

٨- نظام الشخصية في روايات الطاهر وطار – البناء والدلالة – طيبون فريال، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب واللغات والفنون – جامعة جيلالي ليباس، الجزائر، ٢٠١٥ – ٢٠١٦ .

٩- شبكة المعلومات العنكبوتية (الانترنت) موقع كتارا – جائزة كتارا للرواية العربية .